عاشقة التراث الشعبي اليمني أروى عبده عثمان:

مؤسسات اليمن المعنية بالتراث الشعبي غائبة مع أنه ليس لدينا ما نقدمه سوى ثقافتنا!

صنعاء ـ «القدس العربي» ـ من خالد الحمادي:

اهتمت كثيرا بالتراث الشعبي اليمني منذ نعومة أظفارها، تجولت في طول البلاد وعرضها لاقتناء نوادره، تعمقت في أغواره وفي جواهره، وأخيرا باعت كل ما تملك من قطعة أرض ومن ممتلكات ثمينة لإنشاء دار للتراث الشعبي، كتعبير عن عشقها لهذا المخزون الكامن في أعماق الأرض اليمنية الغنية بالتراث والناطقة بالحضارة. إنها الكاتبة والباحثة اليمنية أروى عبده عثمان.

تختزل أروى في ذاكرتها الكثير من الكنوز التراثية من خلال أبحاثها الطويلة ودراساتها الميدانية، ولكنها لم تقف أمامها مقيدة اليدين، بل حولتها إلى مشاريع ناطقة من خلال العديد من المنجزات التي حققتها خلال الفترة الماضية على الرغم من تقاعس المؤسسات الرسمية المعنية بهذا الشأن.

في هذا اللقاء الذي خصّت به «القدس العربي»، تطرح أروى عبده عثمان همومها واهتمامها بهذا المخزون اليمني، وتشرح دوافع لجوئها وتخصص نشاطها بهذا النوع الثقافي الأصيل في بلد غني بالتراث لكنه مهمل لهذه الكنوز.

هنا نص اللقاء

■ ما هو جديد الكاتبة والباحثة أروى عبده عثمان؟

■ **على صعيد الكتابة القصصية، هنالك مجموعات ما زالت حبيسة الأدراج، أما الكتابة الصحافية فقد توقفت عنها بسبب انشغالاتي في بيت الموروث الشعبي، وعلى المستوى البحثي هنالك كتاب جديد هو (قراءة في السردية الشعبية اليمنية + 70 حكاية شعبية) وهو مقدمة لموسوعة أطلس الحكاية الشعبية، التي يتحقق فيها الحلم الأول، وهو تكوين فريق عمل لمسح مناطق البلاد لإعداد موسوعة أطلس للحكاية الشعبية اليمنية، لكن يبقى هذا مجرد حلم، لأن تحققه مرهون بالدعم من أية جهة تتبنى هذا المشروع الثقافي الكبير.. كما أني على المستوى الشخصي ما زلت أنقح في كتابي الجديد (سؤال المرأة في المحكي الشعبي ـ وداعاً وريقة الحناء) الذي اشتغلت عليه في مكتبة الإسكندرية عن طريق اليونسكو بالمنحة المقدمة للمرأة والسلام والجندر. وأما على صعيد بيت الموروث الشعبي المتحفي الذي أسسته وأديره، فقد اعددنا له ديكورات تراثية وعرضنا مقتنياته بشكل يتناسب مع منهجية البيت، وتبقى الغُصّة أن هنالك أشياء تراثية كثيرة مخزونة لم نتمكن من عرضها بسبب ضيق المبنى، كالأزياء، الكتب، الأواني .. وغيرها. يضاف إلى جديدنا أننا قمنا بإصدار اسطوانة سي دي من أغاني النساء (ملالة) وهي أغانٍ شعبية بدأت تختفي بسبب تأثير جماعة المد الإسلامي المتطرف والمتعصب الذي يعتبر ليس فقط صوت المرأة عورة، بل الوجود كله عورة.**

■ ما هي ملامح الكتاب الجديد الذي تعتزمين إصداره قريبا؟

■ **هو عبارة عن مدخل بحثي للحكاية الشعبية اليمنية كالتعريف بها، ومعالجة موضوع المؤثرات الداخلية والوافدة على الحكاية، كالهجرات الحامية، الخصوصية، الغيرية، الذوبان، الحماية والمحافظة. أصبحت لا أختلف عن ذلك الحارس أو العكفي (العسكري) الذي يحس بأنه الضرورة، فلن نستطيع أن نعيش من دونه ومن دون ظلاله الوارفة، حارس البلاد والعباد وقبلها حارس النفوس والعقول، مثل هذه الثقافة لم تفرز إلا اجتماعية، حكاية حيوانية، حكاية الألغاز والحكاية المرحة أو الحكاية الفكهة وحكاية الجن وحكاية المعتقدات الشعبية، ثم خلصنا إلى بعض معوقات توثيق الحكاية الشعبية، كالجهود الفردية المحدودة وندرة التمويل وبدائية أدوات التسجيل وعدم إدراك الرواة لقيمة ما يحملونه من كنوز، وتأثير الثقافة السلفية التي ترى أن صوت المرأة عورة، والظروف المعيشية السيئة لأهالي الريف وتأثير النزعات العصبية، والتسجيل الرديء لبعض الحكايات الشعبية. أما القسم الثاني للكتاب فهو عبارة عن 70 حكاية شعبية من كثير من المناطق اليمنية، فيما الجزء الأخير يحتوى على صور من الحياة التقليدية اليمنية.**

■ ما سر اهتمامك بالتراث الشعبي اليمني إلى هذا الحد؟

■ **هذا لم يعد سرا، فالتركيز على مفردات التراث الشعبي في كتابتي الأدبية ومشروعاتي الشخصية لا أقحمها أو أفتعلها، بل تأتي طواعية وقد سئلت هذا السؤال كثيراً، فحتى كتابتي السياسية لا بد أن تستخدم أو توظف حكاية شعبية، معتقداً، مَثَلا، غنوة، وبعد ذلك أقوم بإسقاطها على القضية التي أتحدث عنها، ربما كان مردّ ذلك إلى تكويني في بيئة شعبية جعلتني أسيرة الشعبي بشكل عام، غنوة، طقس شعبي، حكاية أو رقصة، أحس بأني أمام سحر لا يوصف، يتملكني بطريقة سحرية لا أستطيع وصفها، أجد أني أمام الصدق المطلق وأمام الحياة بكل بساطتها والانغماس في تفاصيل الطبيعة أمام الروح المتداخلة التي تذهب في تفاصيل حياتنا اللاهثة، فمثلما تتملكني رقصة في أقصى شمال البلاد أو جنوبه شرقه أو غربه، بنفس القدر تتملكني رقصة الفلامنكو أو الأغاني الريفية للعالم أجمع. هؤلاء المغمورون في زحمة الأشغال الشاقة المؤبدة في الحقل أو على الرحى أو الرعي والتحطيب لا ينسون إيقاعات الحياة الجميلة، سترى نغمات العصافير تداعب المعول وخرير الماء يفتق التربة ويفتق روحهم المجهدة، إنهم يستمتعون بطعم الطبيعة، حلوها ومرّها.. لا يمكن أن يمر هلال القمر دون أن يتغنوا به ولا يمكن أن تلوح الشمس دون لثمها بقبلة الصباح، ولا يمكن أن يصيح الديك دون كلمة عرفان من ربة الحقل ورب المنجل؛ ربما هذا كله هو الذي جعل كتابتي تحتفي بالشعبية.**

■ وماذا عن دوافعك لتأسيس بيت الموروث الشعبي الذي أنشأتيه وتديرينه بإمكانياتك المتواضعة المحدودة؟

■ **الذي شجعني وأجبرني على المضي في هذا المجال، كل ما تحدثت عنه سابقاً، ثم ان الكثير من الناس الذين يعشقون التراث ويحسون بأن آيات الجمال والفرح بدأت تخبو وتموت، كل إنسان رأى أن مؤسسات الدولة المعنية بتنمية ثقافة الحياة عبر التراث الشعبي وغيره غائبة ومغيبة، عن الحياة أصلا ولو ظهرت فلن تأتي إلا بما تبصقه الأفواه في (متافل) القات، والرغاء الأخضر القاتل للحياة.**

وأيضاً من خلال البحث في قضايا التراث كنت منذ الإطلالات الأولى مسكونة بمصطلحات الخوف، بل الجزع من تهالك أشكال التراث الشعبي، فبدأت أرغي ـ أنا الأخرى ـ بمصطلحات الهوية الحامية، الخصوصية، الغيرية، الذوبان، الحماية والمحافظة. أصبحت لا أختلف عن ذلك الحارس أو العكفي (العسكري) الذي يحس بأنه الضرورة، فلن نستطيع أن نعيش من دونه ومن دون ظلاله الوارفة، حارس البلاد والعباد وقبلها حارس النفوس والعقول، مثل هذه الثقافة لم تفرز إلا ثقافة صدام، فهي لم تختلف كثيراً عن مصطلحات القومجية، ثقافة الشمول، والشعاراتية المفروغة منها، حتى كُتب لي السفر إلى مكتبة الإسكندرية لتأدية بحث من قبل اليونسكو.. بدأت القراءات الجديدة البعيدة عن التوتر الناجم عن مشاغل الحياة اليومية والفواتير والإيجارات والتهديد بإغلاق بيت الموروث الشعبي، الطفل الذي سيموت في مهده، والمؤسسات الرسمية القائمة تتفرج، ولم تصحُ بعد من انسطال (القات)، لعدم إيفائنا للايجارات تخبو قليلاً قليلاً، وأصبح التوحد بالكتاب فقط. عندئذ قرأت ما لم أقرأه في حياتي بدأت أعرف من خلال الكتابة الجديدة أن التراث يجدد نفسه، وأن الهوية مصطلح ضيق يتوه في مطبات التخلف التي تغرقنا، وان الهوية متجددة بلغة التسامح والحوار مع ثقافة الآخر، وأن التميز في منابع الثقافة الشعبية لا يأتي إلا عبر الانفتاح والتلاقح، وليس اختزال الثقافة الشعبية في ثقافة واحدة، تكون مهيمنة ونافية للتعدد والاختلاف والتعايش والتثاقف مع الثقافات الأخرى. هذه القراءة الجديدة لم تغير فقط اهتمامي بالتراث الشعبي، بل وبكتاباتي السياسية والاجتماعية التي كانت ملغومة بثقافة الطمّاش (المفرقعات) والمباشرة، بدأت أركز على البحث واقتنعت بأن التغيير ليس فقط بتغيير آليات الثقافة التقليدية، بل وبتجاوزها أيضا.

■ وما هي أهداف وغايات بيت الموروث الشعبي؟

■ **أهداف وغايات بيت الموروث الشعبي ودوائر اهتمامه تتركز حول توثيق التراث الشعبي اليمني، وخصوصاً التراث الشفاهي أو الأدب الشعبي كألوان الغناء الشعبي، الحكايات، الأمثال، النكت، الألغاز، السير والأساطير الشعبية وكذا توثيق العادات والتقاليد الشعبية كتقاليد دورة الحياة وتقاليد الزراعة والمناسبات الاجتماعية والدينية، كما توثيق المعتقدات والمعارف الشعبية كالمعتقدات الخاصة بالسحر والأحلام وأضرحة أولياء الله الصالحين.. الخ. كما يسعى البيت إلى توثيق التراث المادي كالأزياء الشعبية، المصوغات، طرق الزينة، النقوش، الوشم، الألعاب الشعبية، الرسوم والفنون الشعبية، بالإضافة إلى الحفاظ على الهوية المفتوحة على التفاعل والتثاقف مع الآخر، وخلق قاعدة شعبية ورأياً عاماً بأهمية الموروث الشعبي وحمايته وطرق المحافظة عليه وإعداد الكوادر المؤهلة القادرة على التعامل مع الموروث الشعبي وقضاياه وإشكالياته وإيجاد قاعدة معلوماتية وتصنيفية لأشكال الموروث الشعبي وجعلها في متناول الباحثين والدارسين.**

أروى عثمان بجوار بعض مقتنيات بيت الموروث الشعبي (القدس العربي)

كما يهتم بيت الموروث الشعبي ليس فقط بالتعريف بهذا الموروث، بل أيضا بالتوثيق جمعا وتدوينا، دراسة وتحليلاً، ومتحفية بيت الموروث الشعبي لا تقصد تسييح الثقافة، أو نشر ثقافة التسيح، وما يستهوي السيّاح بعد نزع محتواه الإنساني، ولكن كل قطعة لها دلالة ثقافية إنسانية، تحكي عن الإنسان المبدع الخلاق في تحويل الجدب إلى لوحة من لوحات الجمال عبر معوله، عبر إشاراته وتهويماته، تناقضاته وفلسفته البسيطة لتفسير الواقع والظواهر التي يعجز عن تفسيرها، فيخلق لها تفاسير فوقية ميتافيزيقية لها طعم الأسطورة، وشجن الخرافات اللذيذة. ونحن في اليمن ليس لنا ما نقدمه سوى ثقافتنا، لا نملك أي منتج فاعل ومؤثر سوى المنتج الثقافي الجميل.

■ يقال بأن اليمن بلد غني بتراثه الشعبي، لكنه فقير بتوثيقها، وهو ما أسهم في نسيانها، ما رأيكم؟

■ **نعم أوافقكم الرأي في أن اليمن غني بموروثاته، لكنه فقير بتوثيقها، فما زلت أردد المثل الشعبي القائل (جوهرة بيد فحام) وهذا ينطبق على ثقافتنا الرسمية والشعبية في هذا الصدد، فهناك مخزون ثقافي إنساني خام، لكن لا يؤخذ منه سوى الفقاعات، ثقافة الومضة، ننتقي ما يناسب الولائم والاحتفالات الرسمية أكانت وطنية أو دينية، شكل غنائي كالبالة، والزامل، تحشر داخله ثقافة السلطة وثقافة التمجيد والتدليس (التطليس)، أو تصبغ بايديولوجيات دينية ثورية ديماغوجية طافحة بلغة القتل والعنف وسيلانات من المحرمات والانغلاقات المدمرة وفي الأخير يبقبق الإعلام الرسمي فيطلق عليه اسم تراث!!، الأخطر من ذلك هو ما نجده الآن عبر مؤسسات رسمية تركز على الواحدية في الشكل التراثي ليختزل بقية الأشكال الأخرى.. ما زالت ثقافة (العوجة) الواحدية الصدأمية هي التي يجب أن تسود، وتقصى مهمشة التراث البغدادي، والتراث الكردي، والأشوري..الخ، يحدث هذا عندنا في اليمن، فثقافة البرَع يجب أن تختزل كل أشكال التراث في تهامة أو حضرموت، أو عدن أو ريمة...الخ من المناطق، فـ(برُعت) رقصة الشبواني، والشرح اللحجي، ورقصة أم قحفة، وتراث الأخدام، التراث الزاخر بالحياة، لا نعرف عنه شيئاً، وتراث البحر والصحراء أيضاً لا نعرف عنهما شيئاً، في ظل (واحدية البرع) المليئة بكل أنواع العنف، فهي رقصة الحرب تقتل بجانبها رقصات الحب واللوعة والاشتياق للحبيب، لأمزان السماء، للندى وتغاريد الكناري، وفي الأخير يأتي الاعلام الرسمي فيطلق على كل هذا أنه تراث شعبي، ويضيف محشراً أنه مصطلح فلكلوري، ليصبح التقرير مسبوغا بالفكرية، والمنهجية..الخ. كل من الجهات الرسمية والدينية تلتقي في مجرى إفراغ جمالية الكلمة والمعنى وتشويه للحن من محتويات الخيال والصدق وأكرر الصدق في تراثنا الشعبي. وهناك جهات (سماسرة التراث) بدأت تحس من خلال تهريب ذاكرة البلاد، وتسييح الثقافة عبر المخطوطات والآثار، فتأخذ الشكل الفلكلوري، ليستهوي السياح، بل وتكذب عليهم بثقافة مزيفة من أن ذلك التقليد أو تلك القطعة لها آلاف السنين، وهي في الأصل قطعة عمرها لا يتعدى الأسبوع بين الفرن الحارق والرمال الحامية، وقليل من (الطنافس)، فسماسرة التراث مافيا لا تقل خطورة عن مافيات القتل في أي مكان. ولقد سخّر إعلامنا لهذا النوع من الثقافة الاستهلاكية السريعة التي تتفق مع سياسة التسطيح والربح السريع حتى لو قلعوا سماء البلاد، وقلبوا البحر ورشّوا بهارات الزمن ليصبح تحفة.. سماسرة التراث لا يبعون الناس أيضا، فقط ولكن يبيعون الناس أيضا، يبيعون ذاكرة الإنسان، وجدانه وأحلامه بأبخس الأثمان، لقد رأيت بأم عيني أناساً ينزعون القمريات الرخامية ويبيعونها بورقة خضراء، رأيت ذلك، وأحس بغصة أن تباع تحف نادرة، تباع أمام الملأ في سوق الملح (صنعاء القديمة) بثمن بخس، لقد نزعوا النوافذ والأبواب القديمة والحلي، وحتى جدران المنازل، حتى الهواء لم يتركوا له حاله، إنهم الآن يعتلفون القات ليقرطسوا الهواء، ويقولوا عنه إنه هواء من عهد حضارة سبأ، وإن الملكة بلقيس لمسته واستنشقته وصنعت منه تاجاً عظيماً.. يحدث هذا في بلدي اليمن.**

من جملة النّحو إلى جملة القصّ

محمّد خريّف*

■ إن كانت جملة القصّ حجر الزّاوية في منطق مناهج النّقد الرّوائيّ الحديث وفق منظوره الغربيّ باعتبارها مجموعة جمل قصصيّة ينشأ عنها معنى قصصيّ والمعنى القصصيّ للجمل النحويّة مجتمعة يبقى مستندا هشّا لايخلو من غموض وتعميم يؤدّيان إلى الإرباك والحال أن جملة النّحو في حدّ ذاتها منفردة لاتخلو من معنى قصصيّ قد يشمل الفعل الماضي في صيغته الحيادية يشرعها المضيّ والغيبة لذا فانّ مقاربة الخطاب الروائيّ العربيّ الحديث انطلاقا من جملة القصّ وقوامها الإسناد ولواحقه قد تبدو غير وجيهة في نظر المتعلّقين بسطوة القادم المعرفيّ فانّ مغامرة الخوض فيها قد تبدو مختلفة مفيدة فهمّها دراسة اللّواحق التّي هي الفضلة قبل العمدة معيار المعنى المركوز في اللّفظ بتدبير المصدر الميتافيزيقي. .وما مقاربة النصّ الرّوائيّ العربيّ في معناه الأوسع انطلاقا من استقراء قرائن الفضلة إلاّ مقاربة اختبار مدى قدرة الفضلة أيّ الهامش على خلخلة الصّارم المتمكّن بعقد المسند والمسند إليه النحويّ. وهذا السعي أو المغامرة الاختلافية تبدأ بترصّد الغالب من قرائن الفضلة أو الهامش كالخلف والأمام والليّل والنّهار والهنا والآن والتّسويف وغيرها من القرائن اللاّفتة.

وبما أنّ حركة السرد حركة سباق متاّن يناقض المفهوم le conceptفيفضح ماخفي أو ماأهمل بمعمار النّمط وقوالبه فانّ التوسّل بالفضلة وما توفّره من مراوحة بين الكمال والنّقص الكمال بمعنى التمكّن تمكّن المفهوم الاسناديّ والنّقص بمعنى الإمكان إمكان خلخلة المفهوم الاسنادي أو انفتاحه على مفاهيم أخرى لاتستقرّ مفاهيمها ولاتثبت بمروحة التّأصيل والتّهميش التّي لا تتوقّف ولا تعود على بدء إلا لتهبّ خالعة ما تكرّس بميّت البلاغة لينفض طارفا بحيّ العبارة السّرديّة الجذابّة فتشبّب "العمدة" ب"الفضلة" والعكس بالعكس لينبت معنى أو مفهوم جديد سمته التردّد أو عدم الثّبات في تعالق وتعليق يصطاد فيه المفهوم ليتخلّى عنه لانبثاط التّعليق الحرفيّة فحسب بل بسياقات الكرّ والفرّ أو بسياقات بناء البيت القصصيّ والتخلّي عنه أو التّعليق بالإضراب عن الإقامة فيه.

وهذا المدخل في مقاربة النّصوص الروائيّة خاصّة والسّردية عامّة إن كان مشغل الفكر المعاصر المتأثّر بفتوحات كيرقارد ودريّدا فانّ مقاربة نصوص سرديّة في الأدب العربيّ منطلقة من جملة النّحو إلى جملة القصّ تفضي إلى بطلان ماشاع وتداول من اعتقاد يرسّخ مفهوم التّفاضل بين العمدة والفضلة أو الكلمة والنصّ أو إلى الشكّ فيه على الأقل . ولنا في مقامات الهمذاني ورسالة الغفران قديما كما لنا في تجارب القصّ والرّواية حديثا مايؤكّد على زيف التّفاضل ويشرّع لمنهج التّناول المنطلق من جملة النّحو إلى جملة السّرد صفة الإفادة الوقتيّة لا النّهائيّة وان اختلف وعي الرّوائيين والنقّاد بذلك اختلافا يعود إلى اختلاف طبائع المتلقّين بسبب زئبقيّة المادّة اللغويّة وطواعيتها لحمل المعنى وضدّه. ممّا يجعلها تحمل على البيان و الغموض معا وفي ذلك سرّ لطافتها بل ملاحتها. وهذا السّرّ الواضح الغامض يجعل مروحة المفهوم متأرجحة بين فعل العمدة فعل المفهوم وفعل الفضلة فعل حلّ عقد المفهوم والعكس بالعكس إذ يعقد المفهوم بالفضلة و تصبح عملية ألحكي باعتبارها رواية حديث من نوافل الإيمان وشروطه والفعل في العربية حكائيّ إذ بالحكائيّة يكتسب موضوعيّته بل حياده إذ هو في نفس الوقت غارق في الذاتيّة بانفتاحه على المضيّ في الزّمان والمكان كامن في الغيريّة باستناده إلى الغيبة قرينة التخفّي تخفّي "الأنا" بسلطة القامع المفهوميّ.

المضيّ والغيبة شارتان لغويّتان باعتبارهما قرينتي أسماء مستعارة Pseudonymesقد تنوب إحداهما عن الأنا المقموع بسلطة المفهوم كما تنوب الأخرى عن المستقبل وفضائه ممنوعا بسلطة المفهوم أيضا سلطة الماضي .والماضي مضيّ في الزّمان والمكان وهو مفهوم متكلّس في الذّهنيّة الفرديّة والجماعيّة بالحكائيّة التي تقرّر وتنشئ وفق خيط رفيع دقيق لم تتجسّد ملامحه ولم يفضح أمره إلاّ بظاهرة التّعليق الحاصلة بين العمدة والفضلة في المقامة المضيريّة مثلا وبين جمل القصّ التي تقطع في كل مرحلة مع المفهوم المتكلّس بوجهة في السرد بتعليق يفيق تعليقا فيتخلخل المفهوم الرّاكس بالمفهوم الطارئ ويصير مفهوم الكرم الأخلاقيّ أو الفلسفيّ أمرا معلّقا أو مرجئا بقدرة التّاجر على السّرد المخلّ بالمفهوم الأخلاقيّ أو الفلسفيّ في معناه الواسع فتجعل المضيرة شكلا حاصلا كلاما و معلّقا أكلا منتظرا لايتمّ. وهكذا يتّضح أنّ جملة السّرد في النّثريّة العربيّة المحدثة مع الهمذاني والمعرّي ينشئها فعل التّعليق انطلاقا من جملة النّحو بل من فعل النّحو.وهذا ما يحفز الباحث على النّظر في الخطاب الروائيّ العربيّ انطلاقا من جملة النّحو لينتهي بالإقرار الوقتيّ إلى أنّ طرافة هذه النّتيجة تتمثّل في أنّها توصل إلى ماوصل إليه البحث المعاصر من مقاربة الفلسفيّ بالأدبيّ مما يجعل السّرد ملاحقا الفلسفيّ محرّرا له من مظاهر التكلّس والصّرامة بالتّعليق الرّافض هيمنة الأفكار المستبدّة المهيمنة عليه ولذلك كان السّارد يعالج مدّ المفهوم بجزر السّرد أو بمدّه إذ يعلن الشّائع ويذكّر بالخفيّ المسكوت عنه سواء بالمحاكاة أو المحاكاة السّاخرة.إلاّ أنّ شرخ التّعليق يذهل في تجارب من السّرد المعاصر فيبلغ درجات قصوى لاتشمل جملة النّحو أو السّرد فحسب بل تشمل كل أجزاء المكتوب وفضاء الورق وفراغاته وأشكاله الواضحة والمبهمة .

ولعلّ مقاربة الخطاب القصصيّ العربيّ مقاربة تنطلق من جملة النّحو عمدة وفضلة يفتح آفاقا أخرى لتناول علاقة السّرد أو الفضلة بالخطاب العلميّ وتفرّعاته حسب ماتقتضيه إجراءات المقامات البلاغيّة وان كانت المدوّنة النّصّية العلمية العربيّة رغم المحاولات النّادرة في معناها العلميّ الأوسع قديما وحديثا تفتقر أو هي تنتظر نصوصا علميّة بالمفهوم الأضيق مكتوبة باللّغة العربيّة لاهي منحولة أو مترجمة.

إنّ محاولة كهذه مقترحة لا تبدو مستحيلة وان اصطدمت بارتودوكسية العقيدة التي تجعل النصّ العلميّ الأعظم خارج طاقة البشر كما تجعل معناه الصّارم فوق تفتّت اللّغات واللّهجات بل البلاغات لذا فانّ مقاربة جملة النّحو فيه انطلاقا من علاقة الفضلة بالعمدة والعمدة بالفضلة من ناحية وعلاقة جملة النحو بجملة الخبر أو السّرد من ناحية أخرى ممكنة متى كانت مقاربة اختلاف في غير معنى الخلاف بين الفرق والنّحل وبين مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة في النّحو.

وتلك عقبة يحتاج اجتيازها جرأة علميّة تبدأ بالنّظر في الخبر المحمود المذموم انطلاقا من المفهوم النحويّ الصّارم بتنظيرة المخلخل بإجرائه السّردي فيتغيّر المفهوم النحويّ بتغيّر المفهوم السّردي والعكس بالعكس وتختلط السّبل

وتنشأ الأزمة أزمة تفريخ المفاهيم الحائمة في تناحر وانتحار حول مفهوم الأصل أو العمدة الواقع الموهوم في مواجهة نصّ الحداثة نص العولمة الذي لايختلف كثيرا عن نصّ العمدة في تبنّي الصّرامة وامتلاك الحقيقة التي تخلخلت بمقاربات مابعد الحداثة والسوبر حداثة التي تجعل من نصّ العمدة كما تجعل من نصّ الحداثة ومابعد الحداثة مجرّد نصوص ممكنة لأفكار ممكنة.

* ناقد من تونس

**الخلف والأمام في الخطاب الروائي العربي الحديث

جوائز ابن بطوطة للادب الجغرافي لمصري وعراقي وكويتي وأمريكية ومغربيين وسوريين

■ القاهرة ـ رويترز: فاز مغربيان وسوريان ومصري وعراقي وكويتي وأمريكية بجوائز ابن بطوطة للادب الجغرافي لعام 2006 التي يمنحها سنويا «المركز العربي للادب الجغرافي ـ ارتياد الافاق» في أبو ظبي. وأعلن راعي الجوائز الشاعر الاماراتي محمد أحمد السويدي مساء الاربعاء جوائز الدورة الرابعة للمسابقة وفاز بها عن «تحقيق المخطوطات الكلاسيكية» أربعة محققين هم الامريكية سوزان ميلار والمغربي خالد بن الصغير عن تحقيقهما «رحلة الصفار الى باريس 1845 ـ 1846/ لمحمد الصفار الاندلسي التطواني.

وفاز المغربي محمد الصالحي عن تحقيقه «النفحة المسكية في السفارة التركية ـ 1589» لعلي بن محمد التمكروتي والسوري قاسم وهب عن تحقيقه «رحلة الامير فخر الدين المعني الثاني الى ايطاليا 1613 ـ 1618». وفاز بجائزة «الرحلة المعاصرة» السوري خليل النعيمي عن كتاب /قراءة العالم.. رحلات في كوبا وريو دي جانيرو ومالي ولشبونة والهند الاوسط» وفاز بجائزة «الدراسات في أدب الرحلة» الكويتي نواف الجحمة عن دراسته عن صورة المشرق العربي في كتابات رحالة الغرب الاسلامي في القرنين السادس والثامن الهجريين /الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين/. وقال السويدي في رسالة بالبريد الالكتروني ان جوائز ابن بطوطة التي تتواصل للعام الرابع على التوالي «مشروع تنويري عربي يستهدف احياء الاهتمام بالادب الجغرافي من خلال تحقيق المخطوطات العربية والاسلامية التي تنتمي الى أدب الرحلة والادب الجغرافي بصورة عامة وتشجيع الادباء والكتاب العرب على تدوين يومياتهم المعاصرة في السفر وحض الدارسين على الاسهام في تقديم أبحاث ودراسات رفيعة المستوى في أدب الرحلة».

وأضاف أن نتائج الدورة الرابعة من جوائز ابن بطوطة تضمنت فوز جائزتين تمنحهما دار السويدي للمرة الاولى هما جائزة «الرحلة الصحفية» وفاز بها الشاعر المصري ابراهيم المصري عن كتابه «رصيف القتلى.. مشاهدات صحافي عربي في العراق» وجائزة «أدب اليوميات» التي فاز بها العراقي فاروق يوسف عن كتابه «لا شيء لا أحد.. يوميات في الشمال الاوروبي». وقال الشاعر السوري نوري الجراح المشرف على المشروع ان الاعمال الفائزة سوف تنشر في السلاسل التي تصدر عن دار السويدي حيث تنشر الرحلات الثلاث المحققة في سلسلة «ارتياد الافاق» والكتاب الفائز بجائزة الرحلة المعاصرة في سلسلة «سندباد الجديد» والكتاب الفائز بجائزة ابن بطوطة للدراسات في سلسلة «دراسات في الادب الجغرافي».

والكتاب الفائز بجائزة الرحلة الصحفية في سلسلة «أرض الحدث» والكتاب الفائز بجائزة «اليوميات» في سلسلة «يوميات». تأسست الجائزة عام 2003 بهدف تشجيع أعمال التحقيق والتأليف والبحث في أدب السفر والرحلات. وتقيم دار السويدي ندوة سنوية عن أدب الرحلة في احدى العواصم العربية أو الاجنبية. وقال الجراح لرويترز في اتصال هاتفي ان سرابيفو ستكون مقرا للندوة القادمة التي سيتحدد موعدها لاحقا.

قص

مناقب حياة شامية

حسين سليمان*

■ ومنذ زمن، حين وقعت الطائرة في صحن الدار أدركت أن هناك عالما آخر يقوم على مقربة مني ويختلف عن عالمي الذي أعيش فيه. كانت الطائرة تبكي وحولها طيف أثيري. كأن الشمس وقعت ايضا.. لا أعرف... لكن الضباب والغيم حجبا المشهد. وسمعت صوتا يشبه الحيز، صوتا لا يقوم على الكلمة بقدر ما يقوم على المكان. كان الصوت رباعي الأبعاد أو مشبهاً به.

وتدحرجتُ على مهل، أفلت الحبل الذي ربطني به أبواي قبل أن يخرجا الى سوق الحميدية. كانا قد أحضرا حبلا متينا وربطاه بالنافذة ثم لفا عقدته حول عنقي. وخرجا مطمئنين من أنني سأبقى في مكاني كطفل مؤدب لن يؤذي نفسه في الوصول إلى أمكنة خطرة– مثل الدرج الذي بعد سنتين سأصعد عليه كي أرى جبل قاسيون. وكنت اخلق اللعب مع عقدة الحبل. وبدا لي الحبل جسما غريبا تغلغل فيّ وصار يزاحمني على الحياة. سأعتبره صديقا، هذه هي الطريقة الوحيدة كي أنهي الشر الذي في رأسي عليه. عقدة الحبل وليس الحبل كله، فأنا مربوط ولا يسعني أن أصل إلى المكان الذي أريده إلا بقطعه.

أين ذهب الوالدان؟ لم اسأل نفسي هذا السؤال، فهما بالنسبة لي غير موجودين. لكن أين أنا؟ هذا السؤال لم أطرحه أيضا. اسئلة كثيرة يخلقها الضعف والخوف، اسئلة غير موجودة تحضر بقوة الخيال والعقل، الخيال والعقل حالتا عجز وشكلان لم يتشكلا بعد في رأسي. فأنا من دون رأس.. ما زلت حرا.

هناك شوارع دمشق المعبدة. وهناك دبابة كبيرة طويلة العنق جاثمة في مكان ما. ومرت طائرة صوتها صوت زعانف السمك. ماذا تفعل الدبابة وحيدة في وسط الشارع؟ هل هي ضائعة يا بابا؟

لكنه لم يجب، قادني في الشارع وأحسست بمقدار الخوف يتسرب من يده إلى يدي وإلى جسدي كله. هناك خوف من العنق المستلقي في الفضاء، العنق هو قضيب الموت. ماذا يعني الموت؟

وإن كنت أريد أن أتذكر الشارع فستقول لي أمي بعد عشرين عاما إنه شارع بغداد. لا يوجد شارع آخر في دمشق سوى شارع بغداد.

وقعت الطائرة في صحن الدار، ضربتها الدبابة وقد كان هديرها يعوي مثل صوت حيوات آخر الليل. كان هديرها خيالا.. حين يستنطق الخيال قدرات طفل لا يدرك الصوت ولا يدرك معاني الطيران.

لم أكن أعرف الشوارع ولا المعنى من إشادتها، لم أكن أدرك المعنى من إشادة المدن، يكفي بيت بغرفة واحدة، يكفي ضوء واحد، يكفي المساحة المحدودة ولا أريد سعة ولا تعدادا هائلا لسكان المدينة.

مرت سيارة نوع مارسيدس تقودها امرأة. لا أعرف لماذا أشار والدي إليها وقال وهو يبتسم: شوف السائق هو امرأة!

ماذا تعني كلمة «السائق»؟ وماذا تعني «هو امرأة»؟

كان ثلاثة ارباع السكان الذين يملأون الشام الآن غير موجودين، كانوا في حفرة، في مكان آخر. حيث الخلق كان يتحضر للازدحام.

والغوطة ونهر بردى، آه من نهر بردى، الكلمة التي ما زال الناس يرددونها: كنت إن رميت قطعة نقدية في النهر فستراها عارية ترسو في القاع. كان النهر صافيا يمشي على مهله مثل ملك، يراه كل عابر.

حين مررنا من جانبها، أحسست بمحاولات أبي في الابتعاد عنها: يجب أن نبتعد عن الدبابة لأن لها حرمة.

وابتعدنا. لقد أزحنا المشي نحو الرصيف الآخر وهو رصيف كياني غير موجود، لا أرى منه الدبابة، لقد بدت لعبة صغيرة والجندي فوقها كان من صفيح.

في هذا الموقف كان الحاضر الذي سيمسي ماضيا يضرب قنابله في وجهي، أي في وجه المستقبل، في وجه سيأتي بعد عشرين عاما. حيث ماما كانت حاملاً وكان بابا يقودها ويحبها ويريد بطريقة أو بأخرى أن يحملها كعروس، أن يبعدها عن الأرض التي اشتغلت حياته فيها. قال يشير نحو الرصيف الذي لم يقام بعد: تعالي نعبر نحو الرصيف الآخر من الشارع، إنه أمان.

تعقد ساعدها بساعده، وهناك خفقان في قلبها أسمعه. لقد سمعت الخفقان وأحسست بدوامات وبخلايا حمراء تدور في الفضاء حيث الغيوم كانت قد غزتها الشمس بحمرة أقرب للنزيف منها الى اللون.

كان قلبها يخفق وتعثرت الأسماء فوق شفتيها.

همس في أذنها كلمات عن الانفصال.

لكن ماذا تعني الكلمات التي همس بها، لماذا هناك رغبة في الهمس؟

كان عالمي طازجا ولا يعبأ بأحد. كان يحلق في مكان آخر، ولا يفهم...لايفهم. لم يكن يعرف أمي ولا أبي. العالم الذي كان سيندفع إلى تحت لم يكن يعرف أحدا حيث الناس كانوا فكرة مجردة غير مفهومة، وحيث الخارج، المسألة.. وقضية التحرر... حيث الشغب والسلطة.. حيث رجل ما زال يمر من أمامي واسمه جمال، حيث العالم الذي ما زال يموج في ساحة المرجة.. اليابسة والبحر.. كنت اسمع صدى الموت وصوت الماء وأريد أن أترجم كل شيء إلى لغتي، أريد أن أفهم ما الذي يخفق في صدري، حيث عالم الصوت الغريب... عالم الجنس وعالم الحب، عالم المرأة. أريد ترجماناً لكل هذه الغرائب، لكل هذا العالم، فأنا مشدوه ولا أملك حيلة لتفسير ما يحدث.

فانطلقت قذيفة صغيرة من عنق الدبابة نحو الرصيف الذي نمشي عليه، فتركت ماما ساعد أبي وراحت تركض. الركض. كل الناس يركضون. سمعت خبط أقدامهم أمام القذيفة المجنونة والتي لم يكن في ذهنها أي اختيار آخر.

وخطواتها كانت واسعة طيارة. ماما. تقفز بغريزة الحفاظ على الحياة، الحفاظ على الشيء الذي لم أفهمه بعد.

لعل القذيفة حين تخرج ستجعلني أفهم ما الذي يحدث.

أن تمزج خطواتها مع الموت والحياة ومع خطوات أمي وتخلق بالتالي كائنا موحدا يخرج على مهل.

وصلت صحن الدار، القذيفة أم ماما؟ فرأتني مربوطا بالحبل عند النافذة. لقد لمستني وتحققت أنني كائن موجود، لا جروح أو حروق.

تتدحرج في صحن الدار، على مهل.. تركض أو تتذكر الركض، أو تتذكر الناس في الجانب الآخر من الشارع، تجلس أو تتذكر... لتعدد لي مناقب العالم.

* كاتب من سورية